الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

حتى لا يقع الطلاق

بتاريخ/ ٢٢ شوال ١٤٤٤هـ . الموافق/ ٢٨\١٢\٥\٢٠٢٣.

خطبة الجمعة

حتىٰ لا يقع الطلاق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد عباد الله:

إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اهتم وأعتنىٰ في القرآن الكريم بالأسرة وبين أحكامها حتىٰ تكون هذه الأسرة لبنة بناءٍ عظيمةٍ في المجتمع المسلم فإن المجتمعات إنما تبنىٰ علىٰ هذه اللبنات ومتىٰ ما تناثرت اللبنات أو فسدت فإن المجتمعات تنهدم ولهذا كان الاهتمام بعقد الزواج وما يترتب عليه من أحكام من شرعنا الحنيف اهتمامًا عظيما حتىٰ كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مجمعٍ من الناس قد قاربوا المئة ألف قال: أيها الناس استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوانٌ عندكم، وإن عقد الزواج من العقود العظيمة والمواثيق الجسيمة التي ذكرها الله في كتابه فقال: ﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١﴾ [النساء: ٢١]

فسمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ووصف عقد الزواج بالميثاق الغليظ وإنه سبحانه قد شرع الطلاق في حدودٍ ضيقة وجعل لها حدودًا فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

وإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد وقع منه الطلاق والصحابة كذلك لكن في حدودٍ ضيقة علموا أن سفينة الحياة في هذه الأسرة لا نهاية لها إما الغرق وإما الانفلات أو إنهاء عقد الزواج وهنا لابد أن ننظر ونحن في هذه الأزمنة التي كثرت فيها أسباب الطلاق وأنتشر الطلاق بين الأسر لابد أن ننظر إلىٰ أسباب الزواج ولابد أن ننظر إلىٰ أسباب الطلاق فإذا نظرنا إلىٰ أسباب الزواج ومقوماتها زوجنا موليَتنا وإذا نظرنا إلىٰ أسباب الطلاق ومؤدياتها فإما أن نصل إلىٰ إصلاحٍ والصلح خير فنرسل حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ﴾ [النساء: ٣٥] وإما يقع الطلاق، وحتىٰ لا يقع الطلاق فلابد أن نبتعد عن الأسباب المؤدية إلىٰ ذلك، وأعظم الأسباب ورأسها وأسها عياذًا بالله الذنوب واقتراف أحد الزوجين أو كليهما المعاصي والمنكرات سرًا أو علنا.

يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورىٰ: ٣٠]

وفي حديث أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا قال ﷺ: ما تواد اثنان في الله عَزَّوَجَلَّ أو في الإسلام فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما" [رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني]

أيها المؤمنون:

من أسباب الطلاق المنتشرة بين الناس جهل كثيرٍ من الناس لحقوقهم فلا يعرف الزوج ما هو حقه فيطالب بالزيادة أو يجفوا عن حقه فيصل إلىٰ مرحلة الانكسار أو مرحلة اللف والنشر والمرأة كذلك فالواجب علىٰ الزوجين تعلم الواجبات وعدم تعديها إذا كان الإنسان لا يتعدىٰ الإشارة الحمراء خوفًا من الغرامة حتىٰ لو لم يكن أحد فإن الوقوف عند الحقوق أعظم: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴿٣٤﴾﴾ [عبس: ٣٤] فيفر الإنسان من زوجته خوفًا من عدم ؟إعطاءها حقها لابد من الزوجين أن يعرفا حقهما حتىٰ تسير السفينة إلىٰ بر الأمان ويمكن أن يتم البنيان ويمكن أن يتم البنيان ويتوالد ويتكاثر الأولاد في ظل الأبوين نعم نحن نرىٰ اليوم مع الأسف الشديد المنازعات والمشاققات حتىٰ إنها ربما تصل إلىٰ وسائل التواصل فيتراشق الزوجان علنًا فأين الحِفاظ علىٰ سرية الزوجية: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] هذا يقلل من احترامها وتلك تقلل من احترامه فيتطور الأمر إلىٰ استخدام أسلوب القسوة والعناد فتصبح الحياة الزوجية حياةً لا تطاق ويتحول الود إلىٰ القطيعة والسكن إلىٰ النفور فيتحتم الطلاق، أمرنا ربنا عَزَّوَجَلَّ بالتعامل بالإحسان والرفق: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩]

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا" [متفق عليه]

وإن المرأة لابد أن تعلم أن طاعتها لزوجها وأن حق زوجها عليها أعظم من حق والديها عليها كما أن الرجل يعلم أن أعظم حق عليه من حقوق العباد حق الوالدين فعلىٰ المرأة أن تعلم أن أعظم حقٍ عليها من حقوق العباد حق الزوج من احترامٍ وتوقيرٍ وتبجيلٍ وصونٍ وحفظٍ، في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صلت المرأة خمسها [أي الصلوات الخمس] وصامت شهرها وحصنت فرجها [أي حفظت] وأطاعت بعلها [أي زوجها] دخلت من أي أبواب الجنة شاءت" [رواه بن حبان في صحيحه وحسنه الألباني]

قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ : وليس علىٰ المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج.

أيها الأزواج:

قد تنهار بعض العلاقات الزوجية حين يُفقد خُلُق التسامح والإعذار بين الزوجين وربنا جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤]

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة لا يعصرها لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر" [رواه مسلم]

فلا ينبغي للمسلم أن يبغض زوجته لخلق سيءٍ واحد فيها فإن الأخلاق متنوعة فأنظر إلىٰ حسنها ثم قارن بين حسناتها وسيئاتها فإذا ما قارنت وجدت أن الخير أكثر من الشر وهذا هو حال المؤمن ونظره وأي امرأة في الدنيا قد كملت إلا أربع

وأي رجلٍ قد يكمل في مثل هذه الأزمنة المتأخرة حتىٰ نطلب الكمال لابد أن نكون كاملين أما أنا نطلب الكمال ونحن علىٰ النقص سائرين فهذا من التطفيف في المكيال: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطففين: ١-٣]

أيها الأزواج:

عندما نتحدث عن أسباب تفكك الأسر وانتشار الطلاق لا ينبغي أن نغفل بعض المؤثرات في مثل هذه الأيام لا سيما الاستخدام الخاطئ لوسائل التواصل الاجتماعي حتىٰ أضحت هذه الوسائل التي هي وسائل التواصل بين الأباعد أضحت وسيلةً للتقاطع بين الأقارب وبين الزوج وزوجته لابد أن يكون الاستخدام استخدامًا منظمًا مرتبا تحفظ له حرمته ويحفظ لها حرمتها وكذلك للصحبة السيئة والأفكار المنحرفة أثرٌ بالغٌ في تفكك الأسر فتدخل المرأة في مجتمعٍ نسوي لم يرزقن الأزواج وحقدن علىٰ ذات البعل وإذا بهن يحثن علىٰ الطلاق وعلىٰ العيش بالحرية المزعومة التي من رأت فأرًا تود لو أن بينها وبينه رجلا فسبحان الله كيف أن هؤلاء شياطين الإنس والجن يسعون إلىٰ الفساد بين الأزواج؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا من خبب امرأة علىٰ زوجها أو عبدًا علىٰ سيدة" [رواه أبو داوود وصححه الألباني]

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في علاه وأشهد أن محمد عبده ورسوله ومصطفاه صل الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم لقياه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وأعملوا بطاعته ورضاه وأعلموا رحمكم الله أن من أكثر ما يفرح به الشيطان في إغواء بني آدم هو إيقاع الطلاق وذلك لما له من آثارٍ بليغة علىٰ الأفراد والمجتمعات وقد يزين الشيطان عيش الرجل بلا زوجة وعيش المرأة بلا زوج.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: إن إبليس يضع عرشه علىٰ الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم أي أقربهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئًا قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتىٰ فرقت بينه وبين امرأته، أدخل بينهما وسائل التواصل حتىٰ تفرقا، أدخل بينهما شياطين الإنس حتىٰ تفرقا يقول: ما تركته حتىٰ فرقت بينه وبين امرأته قبحها في عينه والعكس وهذا قد يحصل بسبب السحر والكهانة وبسبب تزيين الشيطان وإن المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان فزينها في أنظار الناس ولو كشفوا عن حقيقتها لعلموا أن ما عندهم خيرٌ منها.

وفي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: أيما امرأةٍ سألت زوجها طلاقًا في غير ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحة الجنة" [رواه أبو داوود والترمذي وصححه الألباني]

وفي حديث ثوبان أيضا أن النبي ﷺ قال: المختلعات هن المنافقات" [رواه الترمذي وصححه الألباني]

والمعنىٰ المختلعات: اللائي يطلبن الخلع من غير سببٍ معتبرٍ شرعا تطلب الخلع لتعيش بحرية تطلب الخلع لتذهب وتأتي كما تشاء في الأسواق والمجتمعات وتسافر تطلب الخلع لأجل أنها حصلت رجلًا في ظنها خير منه.

عباد الله:

أيها الأزواج:

إن مسؤولية الحفاظ علىٰ ترابط الأسر واستقرارها والبعد عن أسباب تفككها وانهيار بنيانها مسؤولية مشتركة لا يتحملها الأزواج وإن كان الأُس في يده والأصل في يده فالطلاق في يده فلا ينبغي أن نجعل كلمة الطلاق عابرةً علىٰ الألسن بسبب انفعالٍ فهذا يقول: قلت لها إن خرجتي فأنتِ طالق، والآخر يقول: قلت لها إن لم تدخلي فأنتِ كذا وأنتِ كذا وهل هذا هو الذي أمر الله به ورسوله؟ هذه أمورٌ نفسية يقع بها الطلاق أو لا يقع بها الطلاق هذه مسألةٌ يرجع فيها إلىٰ هيئة الفتوىٰ، ولكن لابد أن نعلم أن المسألة عظيمة فجماهير العلماء يقولون: إن أجرىٰ الإنسان علىٰ لسانه كلمة إن خرجتي فأنتِ طالق تطلق بمجرد ما أن تخرج لأن الحكم حكمٌ وضعيٌ سببيٌ فمتىٰ ما حصل سببه وقع الطلاق

كما لو قال لزوجته: إذا ما ظهر هلال شهر ذي القعدة فأنتِ طالق فظهر هلال ذي القعدة تطلق فالله جَلَّ وَعَلَا من حكمته جعل الطلاق بيد الرجل وأعلم أنها وإن طلبت الطلاق فوالله لا تطلبها إلا علىٰ مجرىٰ اللسان وقلبها يريدك ويريد البيت.

يقول ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه" [متفق عليه]

فعلينا جميعًا أن نكون عونًا لإتمام بنيان الأسرة وأن لا نكون معاول هدمٍ لبنيان هذه الأسرة القائمة.

اللهم أحفظ لنا بيوتاتنا، اللهم أصلح لنا زوجاتنا وأزواجنا يا رب العالمين، اللهم أجعلهم لنا قرة عينٍ يا رب العالمين، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين إنك أنت السميع العليم، اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم إنا نسألك يا مولانا أن تجعل بيوتاتنا خير بيوتات قائمةً علىٰ البر والتقوىٰ وعلىٰ الصلاح يا رب العالمين وعلىٰ إصلاح الذرية يا أكرم الأكرمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضىٰ وخذ بنواصيهم للبر والتقوىٰ، اللهم أجعل هذا البلد أمنًا رخاءً سخاءً وسائر بلاد المسلمين، وصل اللهم وسلم وبارك وأنعم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.